

استخدام تكتي لـ "سلاح إستراتيجي" بوتين يلوح بالورقة النووية

ثمة احداث وحروب في العالم تكون مثابة محطة مفصلية ونقطة تحول حاسمة، وتؤدي الى تغيير جذري في المسار الدولي ومجرى التاريخ. الحرب الروسية على اوكرانيا واحدة من هذه المحطات والاحداث، والعالم بعد هذه الحرب لن يكون بالتأكيد مثلما كان قبلها

حرب اوكرانيا ستعيد صياغة النظام العالمي الجديد وفق اسس ومبادئ جديدة، وسيكون هذا التغيير هو الاول من نوعه وحجمه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، او على الاقل منذ انتهاء الحرب الباردة بداية التسعينات مع انهيار الاتحاد السوفياتي.

دخلت الحرب الاوكرانية مرحلة جديدة مع اعلان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن نشر اسلحة نووية تكتيكية على اراضي بيلاروسيا وبالاتفاق معها، كاشفا ان موسكو نشرت بالفعل 10 طائرات في بيلاروسيا قادرة على حمل اسلحة نووية تكتيكية. وهدد بوتين باستخدام قذائف باليورانيوم المستنفذ في اوكرانيا اذا تلقت كييف ذخائر مماثلة من الغرب.

يرى خبراء ومحللون ان اعلان بوتين نشر اسلحة نووية تكتيكية في بيلاروسيا المجاورة يقدم دليلا جديدا على ان الرجل وقع في مأزق معقد وواقع العالم معه. فالاعلان يذكر ان الرجل لا يستطيع



العودة من هذه الحرب خاسرا. خسارة اوكرانيا قد تعني في النهاية خسارة الكرملين، وقد تعني ايضا هبوب رياح التفكك على الاتحاد الروسي نفسه، ذلك ان الرجل القوي وحده يستطيع لحم اجزاء القارة الروسية. اخطر ما في المازق الاوكراني الحالي هو صعوبة بلورة مخرج مقبول حتى ولو كان الوسيط في حجم الرئيس الصيني. اغلق بوتين الباب باكرا باعلانه ضم المقاطعات الاوكرانية التي يعتبرها جزءا من اللحم الروسي. لا يستطيع الانسحاب منها، ولا يستطيع قبول اجراء استفتاء فيها تحت اشراف الامم المتحدة وفي غياب قواته. في المقابل لا يستطيع الغرب التوقيع على صفقة تعلن ولادة خارطة اوكرانية جديدة مرسومة بحبر بوتين والدماء الروسية والاوكرانية. المذبحة المتواصلة حول مدينة باخموت تعبير عن الافق المسدود وشراسة المواجهة.

نشر الاسلحة النووية في بيلاروسيا رسالة مفادها ان روسيا مستعدة للذهاب في اتجاه الخيارات

حول احتمالات اقدام موسكو على استخدام السلاح النووي في الازمة الاوكرانية، هناك رأيان: - الرأي الاول يقول انه، وعلى الرغم من انه يجب عدم استبعاد لجوء بوتين الى الخيار النووي بشكل نهائي لأن الوضع العسكري بات معقدا جدا، وهو يتعرض لضغوط هائلة، فان الخيار النووي اليوم ليس واردا. صحيح ان جعبة بوتين حافلة دائما بالمفاجات، وانه غالبا ما يقدم على خطوات لا يتوقع احد منه ان يقدم عليها، لكن الخيار النووي مستبعد، لانه يعرض روسيا لتبعات مخيفة. الهدف من وراء التصعيد في خطاب بوتين هو توجيه رسالة مفادها انه يريد النصر في هذه الحرب مهما كلف الامر، ويخشى التدخل المباشر من الحلف الاطلسي. وعلى رغم ان الدول الغربية اوضحت عدم نيتها المواجهة المباشرة مع روسيا، الا ان بوتين قرر اللجوء الى هذا التهديد، على امل ان يردع هذه الدول عن الذهاب نحو خيارات ابعده.



الرأي الثاني يقول ان التجاوزات الروسية الاستراتيجية قد تثير مرة اخرى لحظة محفوفة بالمخاطر في النظام الدولي مشابهة لازمة الصواريخ الكوبية من نواح كثيرة من حيث خطر التصعيد، علما ان سجل الرئيس الروسي حافل بتجاوز الحدود واستعداده لركوب المخاطر والمجازفة دفاعا عن مصالحه. بوتين معزول وغاضب ويعيش حالة انفصال عن الواقع، وهي ظروف يمكن ان تتصاعد بسرعة، فيما مخططاته العسكرية والاهداف الاستراتيجية على ارض المعركة تتراجع. وقد يقدم بوتين على هذه الخطوة اذا ما تعثرت الحملة العسكرية الروسية وشعر ان تداعيات الغزو ستشكل تهديدا وجوديا له ولحكومه. لذلك، من الصعوبة تخيل قبول بوتين بهزيمة عسكرية، من دون ان يحاول استخدام الاسلحة النووية، او على الاقل التكتيكية منها، التي قد يراها اكثر جاذبية، لتفادي هزيمة عسكرية محرجة. ويشير هؤلاء الى ان روسيا تريد تذكير الجميع بانها قوة نووية. انها الاستراتيجية الروسية المنبئة على مبدأ "التصعيد لمنع التصعيد"، ودفع الازمة الاوكرانية الى ذروتها، لمحاولة فرض تسوية مع الغرب لمصلحة موسكو. وعليه، ان الخطر اعلى مما قد يعتقد الغرب، لأن الخيار النووي في عقلية بوتين، قد لا يبدو من المحرمات.

هناك من يرى ان بوتين يستخدم التهديدات باسلحة الدمار لتخويف اوكرانيا ودفعها للعودة الى طاولة التفاوض، وفي الوقت ذاته توجيه رسالة ردع للغرب لكي يحد من الدعم العسكري المكثف لاوكرانيا الذي قلب الموازين وكلف روسيا خسائر فادحة في ميدان القتال. هؤلاء يرون التهديدات مجرد مناورة يائسة، يمكن تجاهلها، لأن الرئيس الروسي لن يقدم على استخدام السلاح النووي التكتيكي او اي من اسلحة الدمار الاخرى لانه يعرف ان الثمن سيكون باهظا عليه، ولانه حتما سيزيد من عزلة روسيا، وربما يفقدها ما تبقى من تعاطف حلفائها مثل الصين والهند، ويعرضها لعقوبات غربية اشد. اضعف الى ذلك انه قد يصبح مبررا لبعض الدول الغربية لارسال مزيد من السلاح، وربما قوات ايضا الى اوكرانيا. المشكلة انه لا احد يعرف على وجه الدقة، المدى الذي يمكن ان يذهب اليه بوتين اذا شعر بأن الحرب تهدد روسيا وفقا لرؤيته. بوتين هو الوحيد الذي يعرف ذلك تاركا بقية العالم تخمن ما اذا كان الامر مجرد مناورة، ام نقلة الى عتبة الانزلاق نحو كارثة نووية. وليس من السهل توقع ما يمكن ان يحدث خلال الايام والسابيع المقبلة بعد نسخة القوات الروسية في اوكرانيا. كثيرون في الغرب حذروا من خطر اذلال روسيا، والان يواجه العالم هذا الخطر الذي اصبح اكثر جدية من اي وقت مضى، وبات السؤال الذي يتردد هو، هل تزيد هذه الهزائم من مخاطر حرب نووية؟ سياسة التصعيد المفتوح التي تتبعها روسيا،

وسياسة المواجهة المفتوحة التي تعتمدها الولايات المتحدة، اطلقت نقاشا في الاونة الاخيرة، شاركت فيه نخب اميركية وغربية، والبعض منهم من انصار دعم اوكرانيا، يتمحور حول المدى الذي ينبغي ان يصل اليه هذا الدعم وضرورة الحؤول دون صدام مباشر مع روسيا. وعكست مواقف هؤلاء قلقا متناميا للاسباب التالية:

- سياسة المواجهة المفتوحة مع موسكو بدلا من الاحتواء التدريجي والهادئ، تضع العالم امام امكان صدام مباشر بين القوى العظمى، وبدات تخيف العديد من دوله، بمن فيها بعض تلك الحليفة لواشنطن، والذي كان مقتنعا بقدرته على الانتصار في الحرب من دون خوضها. وهذا يجب ان يتوقف قبل ان ينتهي الامر باميركا في حرب غير مقصودة مع روسيا، خصوصا وان حرب اوكرانيا لم تستقر في طريق طويل وطاحن وممل كما يظن البعض، بل انها تزداد خطورة يوما بعد يوم كلما طال امدها.

- الانتقال من سياسة دعم اوكرانيا في مواجهة العدوان الروسي الى سياسة اضعاف قوة روسيا ونفوذها، لا يترك للرئيس الروسي سوى خيار الاستسلام او تصعيد الحرب، مما يزيد احتمالات توسيعها الى خارج حدود اوكرانيا.

- موسكو قد لا تكون قادرة على تحقيق انتصار حاسم في اوكرانيا، لكن من شبه المؤكد انها تستطيع ضمان خسارة جميع الاطراف الاخرى ان هي خسرت، من خلال ما يمكن تسميته بسيناريو "علي وعلى اعدائي". وسيكون من الحكمة التفكير في تعدد النهايات المحتملة لهذه الحرب لاتخاذ الخيارات الصائبة في السياسة المعتمدة.

- نجاح خطة الاستنزاف يستند الى اوهام، لان غالبية الروس لن تنقلب على بوتين، والاخير، وهنا النقطة الاهم، لن يتردد في وضع ورقة النووي على الطاولة، اذا تجاوز الدعم الاميري لاوكرانيا المستوى الذي يستطيع احتماله.

- حين يصبح هدف الحرب الحاق الهزيمة الكاملة بروسيا، ويجري فتح مخازن الجيوش الغربية لامداد اوكرانيا باحدث منظوماتها التكنولوجية العسكرية، وترصد موازنات ضخمة لمساندتها، يصبح من الصعب التكهّن برد فعل موسكو في سياق معركة تتخذ طابعا وجوديا، من منظور قيادتها.